« طبيب الاصفهانى والدعوة الى »
« النهضة الأدبية فى ايران »

بقلم : الدكتور/ خليل عبد المجيد محمد
المدرس بقسم اللغة الفارسية وآدابها

الأدب الفارسى ـ كغيره من الآداب ـ بدأ فى عصوره الأولى طفلا فى المهد ، ثم بدأينمو ، ويكبر ، وعلا نجمه ،وسطع فى الافاق ، بل من الممكن أن نقول ان الأدب الفارسى قد بلغ ذروة الكمال فى القرنين الخامس والسادس الهجريين · وما ان يجلس الصفويون على عرش ايران حتى يدخل الأدب الفارسىطورا جديدا من أطواره ·

فالصفويون يشجعون كل ما يخدم أهدافهم المذهبية ، ويؤيد معتقداتهم ، وبرز فى هذا الاتجاه المذهبى شعراء كثيرون كان على مأســـهم « محتشم الكاشانى » الذى يعد بحق رائد الشعر المذهبى فى الأدب الفارسى ·

ولما كان الشعراء مطالبين بأن ينشدوا الأشعار التى تخدم سياســـة الدولة ، فقد رأيناهم يتفننون فى ايراد أشعارهم ، ويأتون بالألفاظ الثقيلة التى لها وقع ثقيل لدى القارىء أو المستمع فتعقدت الأبيات لما حملت من ألفاظ ومعانى تخدم بعضها البعض فى اطار الخدمة العامة للمذهب الشيعى، فأدى الأمرالى التعقيد والتكلف والتصنع وغيـرها مما غلب على الشـــعر الفارسى فى العصر الصفوى ·

ولكن بعض شعراء العصر الصفوى لم يرقهم هذا الاتجاه المذهبى ، وهذا الضغط العقائدى ، وتلك النزعة الدينية المتعصبة ، فاتجهوا الى الهند ، واتخذوا منها مستقرا ومقاما ، وبدأوا فى نظم الشـعر فى بيئة تختلف ن بيئتهم السابقة ·

ولما كان شعراء العصر الصفوى ـ فى ايران وخارجها ـ كثيرين جدا،

ويختلفون فى أساليبهم وأنماطهم فانهم ينقسمون الى ثلاث مجموعات (١) :

المجموعة الأولى : وينقسم شعراؤها الى قسمين : القسم الأول : أولئك الشعراء الذين يطلق عليهم « شعراء السبك الهندى » ، تفوقوا على أقرانهم فى دقة النظر وحدة الفكر والقدرة على التخيل ذلك كله بتأثير مناخ بلاد الهند الجميل ، وصارت لغة الشعراء لغة منسجمة فصيحة وان كانت - الى حد ما - غير مطابقة لقواعد النحو والصرف الفارسية · وبالرغم من أن المحققين العظام كابن رشيق القيروانى وابن خلدون وغيرهما قد اعتبروا اللفظ الركن الأساسى للشعر فان هؤلاء الشعراء قد اهتموا بالمعنى اهتماما بالغا الى درجة أنهم كثيرا ما كانوا يبينون مقاصدهم باللغة العامية ·

وأطلق الباحثون على أسلوب هذا القسم : السبك الهندى ، ولكن بعض المحققين الايرانيين فى السنوات الأخيرة أطلقوا على هذا الأسلوب « السبك الأصفهانى ، وهذه التسمية - فيما نعتقد - ناشئة عن نوع من أنواع التعصب القومى ، وان كان التعصب مستحبا فى بعض الأمور الا أنه غير مستحب فى الأمور العلمية والأدبية بأى حال من الأحوال ·

ان تسمية أسلوب هؤلاء الشعراء بالسبك الهندى أكثر مطابقة للحقيقة والواقع ، لأن هؤلاء الشعراء أمثال صائب ، وكليم ، وعرفى ، وآخرين قد ذهبوا الى الهند ، وعاشوا فيها ، ونظموا أشعارهم بهذا السبك · اذ كان شعراء ايران يذهبون الى الهند فى عهد السلطان أكبر شاه ، وكان يوجد العديد من الشعراء هنديى الأصل فارسى اللغة فى بلاط أكبر شاه ·

وكانوا جميعا ينظمون الشعراء بهذا السبك · وأحد هؤلاء الشعراء العظام فيضى الدكنى الذى لم تقف شهرته عند حدود الهند بل انتشرت فى ايران

---

(١) أنظر : رساله اى در شرح حال طبيب اصفهانى ، تأليف كيوان سميعى ، تهران ١٣٤٧ هـ · ش · صفحات ٦ : ١٠ - تاريخ أدبيات ايران وتاريخ شعرا ، تأليف حسين فريور ، جاب بانزدهم ، تهران ١٣٥٢ هـ · ش ، من ص ٣٣١ : ص ٣٣٣ - بررسى أدبيات امروز ، دكتر محمد استعلامى ، جلد أول ، جاب سوم ، تهران ١٣٥١ هـ · ش ، من ص ٢٨ ، ص ٢٩ - تاريخ أدبيات ايران تأليف دكتر صادق رضا زاده شفق جاب دوم ، تهران ٢٥٣٥ هـ · ش ، صفحة ٥٨١ : ٥٨٢ ·

أيضا ، وقد اعترف بأستاذيته وشاعريته الشعراء الفرس المقيمون داخل ايران ٠

ولم يكن هذا السبك موضع اهتمام الشعراء الفرس فى الهند طوال حكم السلاطين التموريين بالهند فقط ، ولكن سلاطين هذه الآسرة وأمراءها كانوا يشجعون دائما على رواج هذا السبك الشعرى أيضا ٠ وكان من ثمار ذلك أن بقيت عن تلك الفترة مئات الدواوين الشعرية ٠

القسم الثانى : شعراء ايران الذين بلغوا درجات علافى هذا السبك ، ولكن طالما لم يذهبوا الى الهند فان حناءتهم لم تزدد أحمرارا فى هذا السبك ، وأنهم مهما بلغوا من درجات علا فى هذا السبك فان أعمالهم لا تصل الى مرتبة أعمال الشعراء الفرس الذين عاشوا فى الهند وكتبوا بهذا السبك أمثال صائب ، وكليم ، وعرفى ٠ فالشعراء الفرس الذين عاشوا فى الهند توفرت لهم أشياء لم تتوفر لأقرانهم الذين عاشوا فى ايران كتشجيع السلاطين التيموريين الذين جمعوا العلوم والآداب وعملوا على انتشارها ، وكذلك مناخ الهند الرائع والجو البديع والطبيعة الخلابة بما فيها من مفاتن تأسر الخواطر والنواظر ٠ وتستولى على القلوب ٠ وطالما كان لشعراء هذا القسم تعلق وارتباط بالهند فان أسلوبهم يسمى بالسبك الهندى وليس بالسبك الاصفهانى كما يقول بعض المحققين ٠

المجموعة الثانية : أولئك الشعراء الفرس الذين لم يسافروا الى الهند بل قلدوا الشعراء الفرس الذين سافروا الى الهند ، وعاشوا فيها ٠ وكان شعراء هذه المجموعة يكتبون أشعارهم على غرار شعراء المجموعة الأولى ، ولكن التعقيد ات اللفظية التى اشتهر بها شعراء المجموعة الأولى كانت قليلة الى حد بعيد فى أشعار هذه المجموعة ، ولكن المضامين المبتكرة والمعانى البديعة التى غلبت على أشعار المجموعة الأولى قلما وجدت فى أشعار هذه المجموعة ، وكان نمط شاعريتهم أكثر قربا من قواعد اللغة الفارسية السليمة خصوصا وأن بعض أفرادها كان معاصرا لبداية الدولة الصفوية ، وأصبحوا ضمن بقية أفراد المجتمع الذين لم يكن لهم ارتباط بالأدب والأعمال الأدبية ، وبدأت الفصاحة والبلاغة تتلاشى شيئا فشيئا الى درجة أن الألفاظ السليمة والمعانى البليغة كادت أن تختفى حتى أننا لو تصفحنا ديوان شاعر يبلغ

خمسة آلاف بيت لصعب علينا أن نجد خمسين بيتا سليما مائة بالمائة من حيث اللفظ أو جذابا من حيث المعنى من جملة ما قاله صاحب هذا الديوان ٠

المجموعة الثالثة : هى أولئك الشعراء الذين لم يتأثروا بأسلوب الشعر الذى راج فى عصرهم سواء فى داخل ايران أو فى خارجها وشعراء هـــذه المجموعة اتجهوا الى دواوين الشعراء الفرس السابقين خصوصا شـــعراء الغزل وشعراء المثنوى أصحاب السبك العراقى ، وكان أغلب أفراد هـــذه المجموعة علماء وفضلا أمثال الشـــيخ بهائى ، ومير محمد ، باقرداماد ، وملامحسن فيض ، وغيرهم من علماء العصر الصفوى ٠

ولما كانت لظروف العصر تأثير على الأدباء بعامة والشعراء بخاصة ، فلم تصل أشعار شعراء هذه المجموعة الى مستوى شعراء الفرس العظام أمثال الفردوسى والعطار ونظامى وسعدى وحافظ وغيرهم ، خصوصا بسبب التعصب المذهبى والرغبة فى اظهار ذلك فى أشعارهم ٠ وكان من نتيجـــة ذلك أن بدا فى أشعارهم نوع من التقشف الأدبى ، وظهرت على بعض منظومات شعراء هذه المجموعة صرامة الفقه ، وهيبة الزهد ، وسطوة التقوى ، ووقار الحـــديث ٠

ومن المعلوم أن الشعر الذى ينظم بهذه الطريقة لا يمكن أن يرقى الى أعلى مراتب النظم ولو كان لفظه سليما ومعناه صحيحا ، وسوف يكون شبيها بأقوال أرباب التكلف والتصنع ٠

يبدو واضحا جليا من خلال حديثنا عن المجموعات الثلاث أن أسلوب الشعراء فى العصر الصفوى فى حاجة ماسة الى تصحيح مساره ، حتى يتخلص الشعراء من تعقيداته ومشاكله ، لكى يسير فى طريقه السابق والمعهود منذ العصور السابقة ٠

ورغم تلك الحاجة الملحة الى ضرورة تنقية أسلوب الشعر والنهوض به فانه لم يكن هناك مجال لرقى الآداب وارتقائها فى فترة القلاقل والاضطرابات منذ انقراض الدولة الصفوية حتى تولى فتحعليشاه مقاليد الحكم ، ولم يكثر

الشعراء من نظم الشعر الى درجة أنه من الممكن أن نطلق على تلك الفترة « أفقر فترات الأدب فى ايران » (١) ٠

فلم يحتف نادرشاه بالشعر ولا بالشعراء ، ولم يحتف به الشعراء كذلك، فقد وجه كل اهتماماته الى اخماد الفتن والقلاقل ، أما كريمخان الزندى فقد قضى على أغلب الفتن ، وجعل ايران أكثر هدوءا وملاءمة لنهضة الآداب بعد القضاء على القلاقل والفتن عقب مقتل نادر شاه الأفشارى السالف الذكر (٢)

كل هذه الأمور استلزمت حتما تطورا ، وقد ظهر ، بحكم الضرورة ، فى بداية القرن الثانى عشر الهجرى ٠ فمنذ بداية النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ظهرت جماعات من الشعراء الدارسين فى اصفهان وشيراز وكاشان ، كان هدفها العودة بأسلوب الشعر الى ما كان عليه أيام الشعراء العظام أمثال الفردوسى وسعدى وحافظ (٣) ٠

وبدأت تلك الجماعات فى عقد اجتماعاتها والدعوة الى النهضة الأدبية وتنقية الأسلوب والعودة به الى سابق عهده ، عهد الجزالة والفصاحة والرصابة والبلاغة والبديع ٠ ولما كان وجود هذه الجماعات وجودا ضروريا فقد كتبت لأعضائها النجاح والتوفيق فيما هدفوا اليه ، وكانت أقوى جماعة بين تلك الجماعات وأهمها وأبعدها أثرا جمعية مشتاق الشعرية (١) ٠

وقد نشأت هذه الجماعة فى أصفهان بالرغم من أنها ـ أى أصفهان ـ ذاقت الدمار والتخريب على يد الأفاغنة ، وتفرق أهلها فى البلاد الأخرى لاحول لهم ولا قوة بلا مأوى وبلازاد ، وبالرغم من أن كريمخان لم يكن محبا للشعراء أو الأدب وغير مقيم باصفهان فلم يكن وجود هذه النهضة الأدبية متاحا فى ظاهر الأمر ، وذلك بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية ، ولكن النهضة قامت ، وقام بعض الشعراء ذوى القريحة المتقدة والذوق الرفيع باتباع

---

(١) يحيى آرين پور ، از صباتانيما ، جلد أول ، تهران ١٣٥٧ ٠ هـ٠ش ص ١٢
(٢) المرجع السابق ص ١٣ ٠
(٣) رسالة اى درشرح حال طبيب اصفهانى ص ٨ ٠
(١) رسالة اى درسرح حال طبيب ص ٨ ٠

أسلوب السبك الذى راج فى القرنين الخامس والسادس الهجريين تاركين السبك الهندى الذى كان سائدا فى عصرهم (١) ٠

وكان أشهر شعراء الدعوة الى النهضة الأدبية بل روادها « سيد محمد شعلة الأصفهانى (ف ١١٦٠ هـ) ، وميرزا محمد نصير الأصفهانى الشهير بطبيب (ف ١١٩٢ هـ) ، وقبلهما وأهمهما مير سيد على مشتاق الاصفهانى (ف ١١٧١ هـ) الذى كان ذاذوق عال وقريحة لطيفة فى نظم الغزل ، وقد عمل بصدق ودأب على خلق مثل هذه النهضة الأدبية فى الأدب الفارسى ، وقاد العديد من أقرانه الى اتباع أسلوب القدماء وتقليده (٢) ٠

وكان من جراء ذلك أن توجه العديد من الشعراء الشبان الى اتباع هذا الطريق الجديد ، ولما كان أغلبهم من مدينة اصفهان فقد تجمعوا حول مشتاق ورفاقه ، وكان منهم أقا محمد خياط عاشق الأصفهانى (ف ١١٨١ هـ) وأقا محمد تقى صهباء القمى (١١٩١ هـ) ، ولطفعلى بيك آذر بيكدلى شاملو (ف ١١٩٥ هـ) ، وسيد هاتف الاصفهانى (ف ١١٩٨ هـ) ، وحاجى سليمان صباحى بيكدلى الكاشانى (ف ١٢٠٦ هـ) (٣) ٠

وهؤلاء جميعا هم أول المجددين لأسلوب القدماء ورواد الدعوة الى العودة لأسلوب القدماء ، ويعتبر مشاهير الشعراء فى عصر فتحعليشاه القاجارى تلاميذهم وتابعيهم (٤) ٠ وقد دعوا جميعا الى اتباع السبك الخرسانى فى القصيدة والقطعة والسبك العراقى فى الغزل والفنون الشعرية الأخرى ، لأن ذلك أنسب وأفضل وأبلغ وأكثر قبولا للفهم والذوق من استعمال الذوق الهندى فى ذلك (٥) ٠

---

(١) ازصباتا نيما ص ١٣ ٠
(٢) ازصباتا نيما ص ١٣ ٠
(٣) ازصباتا نيما ص ١٣ ٠
(٤) ازصباتا نيما ص ١٣ ٠
(٥) رسالة آى در شرح حال طبيب اصفهانى ص ٣٠ ٠

وهاجم البعض هذه الطبقة من الشعراء ، وجادلوهم جدالا شديدا ، واعتبروهم منحرفين عن جادة السبك الصحيح ، وعدوهم معوجى السليقة لا ذوق لهم ، ولكن مثل هذه المعارضات لم تؤثر فيهم بل مضوا فى طريقهم الذى رسموه لأنفسهم ، وهو التخلص من قيود السبك الهندى والعودة الى الأسلوب القديم ·

وها هو « صباحى » أحد هؤلاء الرواد يكتب الى صديقه وزميله « رفيق الأصفهانى » حاثا اياه على اتباع أسلوب القدماء الذى هو الأسلوب الأرقى والأعظم فيقول له (١) ·

ـ عندى شكوى من أبناء زماننا ·
، وأنت قادر على ادراك الحق فوق هذه الرقعة (الأرض) ·
ـ انهم لم يسلكوا طريق التصوف ، وعجزوا عن الارشاد
، ولم يتبعوا الحقيقة ، وتوقفوا عن التحقيق ·
ـ أوصلوا نداء الفضيلة الى الفلك ولم يعرفوا
، السهيل من السها والصهيل من النهيق ·
ـ يطعنون فى الخضر ، وهم تائهون فى الوديان
، يسخرون من نوح ، وهم غرقى فى البحر ·

---

(١) شكايتى است زابناى روزكارمرا تويى به درك وى الحق دراين بساط حقيقى
نجسته ره به طريقت ستاده درارشاد نبرده بى به حقيقت نشسته در تحقيق
رسانده بانك فضيلت به جرخ ونشناسد سهيل رازسها وصهيل راز نهيق
به خضر طعنه وخود درميان وادى كم به نوح خنده وخود درميان بحر غريق
زبان طعنه كشايند دربزركانى كه شعر شان بد وشعرى بود رتبه شقيق
زششصد است فزون كاراميده به خاك كه خاك مرقد شان بادرشك مشك سحيق
كسى نه ز أهل جهان منكر بلا غتشان جه ازوضيع وشريف وجه از عبيد وعتيق
به صدق دعو يشان عالمى كواه جوتو سزد زروح الامين بشنوى براين تصديق
نياورد بجزاز خير باد اين طبقات ديان معنى ولفظ آنكه مى كند تطبيق
زطرزو شيوهء ايشان شود جوكس عاجز براى خود كند انديشه مخلص زمضيق
نهد به شاعر ديرينه تهدت هذيان دهد به كفتهء بيشينه نسبت تلفيق
بود طريقهء دا اقتفاى استادان بياده رانرسد طعنه برهدايت طريق

ازصباتا نيما ص ١٤

- انهم يطعنون فى العظماء (قائلين)
، ان شعرهم سيىء وكغيره من الشعر ٠

- لقد مضى أكثر من ستمائة عام ، وهم راقدون فى التراب
، فليعطر الله تراب مرقدهم بالمسك ٠

- فلم ينكر بلاغتهم أحد من الناس
، سواء كان وضيعا أم شريفا وسواء كان عبدا أو حرا ٠

- وما دمت عالما بصدق دعوتهم شاهدا على ذلك
، فاستمع الى روح الأمين تصديقا لذلك ٠

- فلا تأتى رياح تلك الطبقات (الشعراء السابقين) الا بالخير
، حيث تطابق بين المعنى واللفظ ٠

- وما دام الشخص عاجزا عن طرزهم وأسلوبهم
، فليفكر فى الخلاص بنفسه من (هذا) المضيق ٠

- انهم يتهمون الشعراء الأقدمين عبثا
، وينسبون الى الأشعار القديمة التلفيق ٠

- ان طريقتنا هى اقتفاء أثر الأساتذة (من الشعراء)
، فلن يصاب السالك بأذى بهداية الطريق ٠

ذكرنا منذ قليل أن هؤلاء الشعراء رواد النهضة الأدبية قد تعرضوا لهجوم شديد من بعض معاصريهم ، واليوم يتعرضون لهجوم آخر من بعض الباحثين الذين وقفوا فى وجه أولئك الذين رجحوا السبك القديم (الخراسانى والعراقى) على السبك الهندى ، وردوا على أولئك الذين عقدوا مقارنة بين الأبيات المعقدة لبعض الشعراء أتباع السبك الهندى والأبيات البليغة لبعض الشعراء أتباع السبك العراقى ، ورفضوا حكم أولئك الباحثين الذين حكموا بضعف السبك الهندى وتعقيده وعدم بلاغته ، وكانت حجة هؤلاء المعارضين: أن أى أسلوب له مزايا وعيوب ، وذكروا أنه وان كان هناك جزء من أشعار السبك الهندى قد افتقد مزايا الفصاحة والبلاغة فان جزءا كبيرا من أشعار هذا السبك على درجة كبيرة من الفصاحة والبلاغة الى درجة أن رواد الدعوة الى النهضة الأدبية أو العودة الى الأسلوب القديم قد اقتفوا أثر رواد شعراء

السبك الهندى ، وقلدوهم فى كثير من أشعارهم خصوصا أفراد جماعة مشتاق الشعرية ومنهم طبيب الاصفهانى الذى قلد الشاعر كليم فى أغلب غزلياته (١)

فلقد كان الغرض الأساسى لشعراء ما بعد الصفوية ـ ومنهم طيب ـ عدم رفض السبك الهندى كلية فقد درسوا هذا السبك دراسة مستفيضة واستفادوا مما فيه من استعارات وكنايات وتشبيهات وتراكيب ومصطلحات خاصة بهذا السبك ، واستعملوها فى أشعارهم ٠

ولقد تناولت العديد من المراجع موضوع الدعوة الى النهضة الأدبية وقضية السبك الهندى والسبك الخراسانى والعراقى ، ونحن هنا سنشير الى معظم تلك الآراء التى دارت حول هذه الموضوعات معتمـــــدين على ما كتبه الايرانيون أنفسهم (٢) ٠

ان ما يدعو الى الدهشة أن بعض الباحثين الايرانيين أمثال آذر وعبد الرازق بيك دنبلى نقلا عن بهار وهدايت وغيرهم يذكرون أن الرونق والبهـاء اللذين كانا يغلبان على الشعر قديما قد اختفيا فى العصر الصفوى ، ولم يعد هناك شعر صحيح أو سليم ٠

ان هذا القول ـ فى اعتقادى ـ فيه مبالغة ، اذ كيف يصدر حكم مثـــل هذا من علماء وأرباب الكلام ؟ وكيف تقطع سلسلة النظم ؟ وكيف ينفـــرط عقد الشعر الفارسى بعد العصر المغولى رغم أنه ظل محكما لسنوات عديدة ؟ وكيف تصير روضة النظم خالية تماما من الرونق والبهاء وبها بلابل تتغنى بأعذب الغزليات أمثال كليم ، وصائب ، وعرفى ، وفيضى ، ونظيرى ، وأمثالهم؟ كيف يتخلف سلك الفصحاء عن التقدم ٠ وكان يوجد به شعراء فطاحل أمثال وحشى ، ومحتشم ، وطالب الآملى ، وظهورى ، وميرزا شرف جهان وواعظ وعلينقى ، وغيرهم ؟ وفوق هذا وذاك كيف تمضى على اللغة الفارسية خمسمائة عام وأكثر لا يستطيع خلالها شاعر فارسى أن ينظم أشعارا صحيحة وسليمة؟!

---

(١) رسالة أى در شرح حال طبيب اصفهانى ص ٣٢ ٠

(٢) انظر المرجع السابق من ص ٣٤ : ص ٤٠ ٠

ان الشعر الفارسى بعد العصر الصفوى بالرغم من أنه قليل الى حد ما فانه قد تأثر بشدة بالسبك الهندى ويرى ذلك واضحا فى أعمال شعراء عصر نادر شاه وشاهرخ الذين كانوا يصرون على الاستفادة من هذا السبك ٠

ان حقيقة الأمر تكمن فى أنه علاوة على الرجوع الى أسلوب شعراء ما قبل الصفوية يوجد شىء آخر ، وهو أن الانسان بسبب امتلاكه لعادة التفنن والتغير يكون دائما غير راض عن وضعه الذى هو فيه ، ويريد أن ينتقل الى وضع آخر ، وعندما يتحسر على الماضى ، وينظر الى أحواله السابقة بعين الاحسان فانه يسعى جاهدا لكى يعيدها الى سابق عهدها ، وهذه العادة توجد فى جميع الأفراد والجماعات ٠

ان احياء أحوال عهد الطفولة فى كبار السن وسعيهم فى اعادة عصر الشباب دليل على وجود هذه العادة فى طبيعة الآدميين ٠ فالانسان لا ينظر الى معاصريه بعين الاعجاب ، ولكنهم اذا ما رحلوا عن الدنيا نراه يسرد القصص العديدة عن عظمتهم ومقامهم الرفيع وطبيعة ملكوتهم ٠ ان ذلك كله دليل على التأثير القوى لهذه العادة فى نفسه ، وهذه العادة توجد فى جديع الأقوام والملل ٠ ان بناء العالم أيضا مؤسس على عودة الآشباه والنظائر . وكثيرا ما نقرأ القول المأثور « ان التاريخ يعيد نفسه » ٠

وجملة القول أن الشخص يتحسر على الماضى ، وينظر الى السابقين بعين الاحساس بالرغم من أنه قد يكون فى وضعه الحاضر أفضل بكثير من السابقين :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ما دام حيا فاذا ما ذهب
جدبه الحرص على نكته يكتبه عنه بماء الذهب

اننا لا نريد أن نقول أن شعراء السبك الهندى ومن جاء بعدهم من شعراء أفضل من فصحاء المتقدمين ، فمما لا شك فيه أن أسلوب سعدى وحافظ يفوق بكثير أسلوب رواد السبك الهندى أمثال صائب وفيضى ٠

اننا نريد أن نقول أن ضرورة التغيير ، والرغبة فى التجديد والشعور باحترام العظماء ، والملل من الوضع الحاضر ، وعدة عوامل أخرى كالتعقيد فى المضمون وكثرة الاستعارات والتشبيهات البعيدة عن الذهن ، وعدم مراعاة قواعد الفصاحة فى معظم أشعار السبك الهندى ، قد صارت هذه العوامل جميعها باعثا على ميل الشعراء بعد العصر الصفوى الى أسلوب الشعر قبل العصر الصفوى ٠

أما عن طيب الاصفهانى فانه كان واحدا من الشعراء الذين دعوا الى العودة الأدبية ، وكان المع أفراد جماعة مشتاق الشعرية ، وهو بغزلياته الراقية يدخل فى عداد شعراء ايران العظام ، فقد قلده اللاحقون وتأثروا به تأثرا بعيد المدى ٠

ومن المؤلم أن جميع أشعار طبيب لم تتحدث عن حياته وأحواله وأعماله ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد بخلت علينا كتب التذاكر بما يوضح لنـــا حياته وأعماله ٠

كان طبيب الاصفهانى طبيب نادر شاه الأول ، فقد اشتهرت عائلته بالطب منذ زمن بعيد ، اذ كان جده الأعلى طبيبا لدى الشاه سليمان والسلطان حسين بايقرا ٠ وعلى الرغم من أن طبيب قد اشتغل بالطب لسنوات طويلة فانه لم يؤلف شيئا فيه ، واكتفى بالممارسة العملية لتلك المهنة الشريفة (١) ٠

ومن أقواله عن مهنته تلك (٢) :

ـــ لو سألوك عن أحوال طبيب المتألم فقل :
، اننى رأيته ملقيا على سرير الغم عاجزا ٠

---

(١) شرح حال طبيب اصفهانى ، تأليف كيوان سميعى ، تهران ١٣٤٧ ٠ هـ ٠ ش ص ٢٤ ٠

(٢)از طبيب خسته كر أحوال برسندت بكو ديدهش در بستر غم ناتوان افتاده است
آيين وفا كار طبيب است كه باشد اوراغم ياران وكسى راغم او نيست
شرح حال طبيب ص ٢٥

— ان طريقة الوفاء عند طبيب ٠
، أن يتألم من أجل الاصدقاء ، ولا يتألم من أجله أحد ٠

ولما مات نادر شاه الأفشارى ، التحق بخدمة كريمخان الزندى ، ولما كان طبيب من أصحاب المكانة الرفيعة فى بلاط نادر شاه او فى بلاط كريمخان فقد أطلقوا عليه « مقرب الخاقان » ، ذلك اللقب الذى لم يحصل عليه أحد حتى عصر ناصر الدين شاه القاجارى (١) ٠

وكان طبيب ـ كما يذكر البعض ـ فى حالة حزن دائم لأنه شاهد فى طفولته القتل والتخريبات والسلب والنهب على يد الافاغنة ، وفقد أباه وأمه فى سن مبكرة ، وشاهد أيضا مظالم نادر شاه والاوضاع المضطربة ، وتشريد الناس واذلالهم ، ويمكن معرفة مدى تأثره بأحوال مجتمعه المنقلبة من خلال قصيدته التى يقول فى مطلعها (٢) ٠

— ألا أيها الميمون ذو الفأل السعيد
، مرحبا مرحبا تعال تعال ٠

ولم يكن طبيب متملقا كى يصل الى عطايا السلطان نادر شاه الأفشارى، وكان يمل رؤية ظلم نادر وتجبره ، وكان يمل أصوات المظلومين طالبى الانصاف ، وكان يقول بقلب يعصره الحزن (٣) ٠

— لمن يشكو طالبوا الانصاف من الظلم الثقيل
، فى البحر الذى بدأ فيه الملك الظلم بنفسه ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨ ٠

(٢) أى همـاى فـرخ فال مرحبـا مرحبا تعـال تعـال
ديوان طبيب اصفهانى تيوان سنميعى ص ١١٤

(٤) در دريای كه ملك خود ستم آغازكرد داد خواهاظ بكه نالندز بيداد كـران
جـو باشـد ما يل بيـدادشاهى جـ خيـزد وازفغـان داد خـواهى
درجهـان ازداورى هركز نيابد داورى كوروا وآرد سـتم برمحرمان لشكرى
مقدمة ديوان طبيب اصفهانى ص ٣

— ماذا يحدث اذا مال ملك الى الظلم
، فمن آهات طلب الانصاف ·

— لن يجد فى الدنيا إنصافا
، لأنه تجاوز ، وجر على المحارم الجرائر ·

وفى الوقت الذى عمت فيه الفوضى والظلم بلاد ايران كالسحاب المنهمر كان جميع الناس يتسابقون فى الظلم ، ولكن طبيب ، رغم انه كان فى مركز هام وهو رئاسة شرطة اصفهان ، قد أنزوى جانبا عن طبيب خاطر منه ، وكان صادقا عندما قال (١) :

— ها نحن لا يشغلنا أمر العالم
، ولا تتألم رؤوسنا من أجل التاج ·

فلم يكن لدى طبيب تكالب على الدنيا وزخرفها ، والدليل على ذلك تركه لوظيفة رئيس بلدية اصفهان ، وقد قال يوما ما (٢) :

— لا حزن لدى من أجل حفنة ذهب كالوردة
، وفى يدى جواهر كالصدف من أجل الآخرين ·

كان طبيب ذا طبع حساس ، وكان يتأذى من مصاحبة الجهلاء (الغافلين) ، والدليل الفعلى على ذلك تركه لمنصبه ودرجته العالية ، والبيت التالى دليل على طبعه الحساس وتضايقه من الغافلين (٣) :

— كل طرف انظر اليه أجد الغافلين فياطبيب
، من الأفضل أن أترك مجلس الغافلين ·

---

(١) دربيش ما كه بيسرو سامان عاليم درد سرى بمنت أفسر نمير سد
المرجع السابق ص ٣ ·

(٢) ندارم همجوگل دلتنكى از بهرمشت زر بكف همجو صدف هربراى ديگران دارم
المرجع السابق ص ٤

(٣) هو طرف مينكرم بيخبرانند طبيب به كه از محفل بيخبران بر خيزم
المرجع السابق ص ٤ ·

وكان لطبيب ميل دائم الى العزلة والانزواء ، وكان لا يحب الشهرة والجاه ، ولا يتألم من أجلهما ، وفى ذلك يقول (١) :

ـــ من الأفضل ألا يعرفك أحد يا طبيب
، ولا تتجرع الآلام عبثا من أجل الشهرة والجاه .

وكان يطلب من نفسه أن تنزوى جانبا قائلا (٢) :

ـــ ان الابتعاد عن الناس ليس هو شرط العزلة .
، بل يجب الانزواء بالنفس فى هذا المجلس .

هذه الأبيات وغيرها تبين سيرة الشاعر وحاله ، وأنه فى الغالب قد وصل الى سن الأربعين من عمره ، وطبقا للتحقيقات والابحاث فان للحكماء وعلماء النفس حب شديد ، وولع بالمال ، والجاه ، والمنصب ، والسلطان ، والرئاسة ، ولكن طبيب عزف عن هذه الأشياء كلها ، وترك لأخيه الأصغر ميرزا عبد الوهاب منصبه الهام والخطير فى مدينة أصفهان (٣) . ونحن نعلم أن ترك مثل هذه المناصب الهامة بالاختيار ليس أمرا هينا ، فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب المـــال » .

فلقد كان طبيب منذ شبابه مأنوسا دائما بأهل الحال وأصحاب الفضل والكمال ، ولم يشغل نفسه ـ بعد تركه لعلائقه الدنيوية ـ الا بصحبة أرباب الوجد والحال وقول الشعر وسماعه . ولما كان هذا العمل وحده هو الباعث

---

(١) آن به كـه ميجكس نشناسدترا طبيب بيهوده رنج از بى نام ونشـــان مكش.
مقدمة ديوان طبيب ص ٤ .

(٢) دورى زمردان نه همين شرط عزلتست باید زخود كنـــاره درين انجمن كرفت.
المرجع السابق ص ٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٥ .

على سعادته وانشغاله فانه كان يحزن بشدة ويتألم لفراق أحد أصدقائه ، ويبدو ذلك واضحا جليا فى البيت الذى يقول فيه (١) :

— لم يكن يشغلك شيىء يا طبيب سوى نظمى وشعرى
، اذ لم يكن لدى مقدرة على فراق أصحاب الفضل ٠

ان مثل هذه الحياة التى عاشها طبيب تبين لنا وبشكل واضح انه كان صوفيا ، وكان له نصيب كبير من النشأة الصـــوفية ، وهـــذا البيت دليل على ذلك (٢) ٠

— اود أن تترك الخلان يا طبيب
، لأننى خجول من أفعالك ٠

لم يكن طبيب ـ كما ذكرنا ـ شاعرا مداحا ولا متملقا بالرغم من أنه كان مقربا لدى بلاط نادر شاه الأفغانى المتجبر ، وكان بامكانه أن يعرض له مدائحه للحصول على العطايا والصلات ٠ بالرغم من هذا كله لم نجد فى ديوانه أى نوع من أنواع المدائح اللهم عدة ابيات أرسلها الى على قلىخان (عادلشاه) ٠ وكان قد قالها من أجل الاستمهال فى دفع الدين الذى عليه ٠ ولا يوجد فى ديوانه بالكامل مدح لأحد العظماء أو أصحاب السلطة والجاه ٠

تلك كانت بعض خصائص فترة النهضة الأدبية ولمحات من حياة طبيب الاصفهانى ذلك الشاعر الذى سلك طريق النهوض بالأدب الفارسى فى القرن الثانى عشر الهجرى ، ودعا الى تخليص الشعر الفارسى من التعقيدات التى لحقته ، ذلك الشاعر الذى ترك حب المال والجاه وأعلى المناصب ، وآثر حياة العزلة على العيش فى ترف ، ذلك الشاعر الذى كان أهم دعامة فى جماعة مشتاق الأدبية ، تلك الجماعة التى يعد أفرادها رواد النهضـــة الأدبية فى

---

(١) نبود طبيب ديكر سر بركت نظم وشعرم كه جدا از هنربانان نبـــود مرادماغى

(٢) كيرم كه طبيب دوســـت بخشيد از كردهء خويش شر مســـــارم
المرجع السابق ص ٩ ٠

ايران ، تلك الجماعة التى على منوالها أنشئت الكثير من الجماعات فى العصر القاجارى ، وكانت جميعها تدعو الى العودة الى أسلوب القدماء ، والنهوض بالأدب الفارسى ، وتخليصه مما علق به من تعقيدات وعثرات أوقفتـــه عن مواكب التقدم والنهوض .

د. خليل عبد المجيد محمد